مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 01 (2022)، ص 353- 372

سؤال التجديد في الفكر الإسلامي بين تفعيل المقاصد وإعمال الهرمنيوتيقا

The question of renewal in Islamic thought between activating the makassed and implementing hermeneutics

أيكار محمد عبد القادر [1]، المشرف: أ.د. طالب مناد[2]

[1]مخبر الجماليات و الفنون المعاصرة-جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله، بوزريعة – الجزائر

[21]مخبر الجماليات و الفنون المعاصرة -جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله، بوزريعة – الجزائر.

Med.abdelkader@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/24 تاريخ القبول: 2021/12/17 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

يطرح المقال سؤال التجديد في الفكر الإسلامي؛ حيث يحاول توضيح حالة التوتر، والترنح الذي يحكم هذا الفكر في مناشدته التجديد، ومحاولة تجاوز أزمته الحضارية، بين استبطان الذات والعودة إليها، وبين الاستنجاد بالآخر واستحضار تجربته في ذلك. هذا الواقع المتأزم للفكر الإسلامي نحاول توضيحه بعرض رؤيتين مختلفتين؛ الأولى تناشد العودة للتراث وتفعيله بالاشتغال على المقاصد. والثانية تناشد القطيعة مع التراث أوعلى الأقل إعادة النظر فيه بالاشتغال على الهرمنيوتيقا. فأيّهما أوعى لسؤال التجديد في الفكر الإسلامي؛ هل المقاصد كمنهج أصيل في التداولية الإسلامية، أم الهرمينوطيقا كمنهج مستعار من التداولية الغربية؟

من النتائج المتوصل إليها: أن سؤال التجديد لابد أن يطرح ضمن التداولية الإسلامية، والمقاصد كأداة عقلية ونظرية معرفية إسلامية، لها من المرونة،

والخصائص الموضوعية ما يؤهلها أن تعالج ذلك. وأن الهرمنيوتيقا بمنطلقاتها المنهجية وملابساتها التاريخية لا تنسجم وخصائص البيئة الفكرية الإسلامية.

كلمات مفتاحية: المقاصد، الهرمنيوتيقا، التجديد، الحداثة، التراث.

Abstract:

The article clarifies a side of conflict in the question of renewal in Islamic thought. The first calls for the return of heritage and its activation in the view of makassed. The second calls for breaking with the heritage, or at least reconsidering it in view of the hermeneutics. Which is the question of renewal in Islamic thought, is the makassed as an authentic approach to Islamic deliberativeism, or the Herminotica as a borrowed approach from Western deliberativeism?

Research findings: The effectiveness of the makassed as a mental tool and islamic cognitive theory, with flexibility and objective characteristics that qualify them to bear the subject of the question of renewal in Islamic thought. The hermeneutics, with its methodological principles is incompatible with the aspirations of the Islamic mind.

Keywords: makassed، Hermeneutica، Renewal، Modernity، Heritage

---

المؤلف المرسل: محمد عبد القادر أيكار

1. مقدمة:

يشهد العقل العربي الإسلامي - ومنذ البداءات الأولى لتشكل الوعي النهضوي لديه خلال القرن التاسع عشر - صراعا محموماً، وترنحاً كبيراً في طرح سؤال التجديد، وموضوع النهوض، والانبعاث الحضاري. هدف ورغم انطلاقه من أرضية واحدة في الغالب (القرآن والسنة النبوية الصحيحة) إلا أنه لم يكن محل

إجماع في الآليات المنهجية للاشتغال على هذه النصوص، ولا على كيفيات تفعيلها واستنطاقها للخروج من الأزمة الحضارية؛ حيث اتجهت بعض المحاولات إلى ضرورة تفعيل التراث على اعتبار أنه الملاذ الآمن، والسبيل الأمثل لفهم الذات، باستغلال زخمه، وتراكماته المنهجية، حفاظا على خصوصية الأمة الإسلامية وتاريخ مرجعياتها النصية. لتتجه أخرى إلى الاستنجاد بالحداثة الأوروبية وما أنتجته من آليات ترى فيها الحل الأمثل أمام العقل الإسلامي لتجاوز أزمته، والنهوض من جديد. وفي نفس الوقت ترى التراث وتراكماته المعرفية، السبب من وراء هذه الأزمة، مما يستدعي ضرورة تجاوزه، أو على الأقل محاكمته، وتأسيس معارف تتناسب مع مستقبل الأمة، وتحريرحاضرها الذي ظل مرتهنا حسب هؤلاء بعقلية السلف واجتهاداتهم.

هدف البحث: يأتي هذا البحث بهدف محاولة توضيحة حقيقة الرؤيتين المختلفتين للأزمة الحضارية للعقل الإسلامي - بإعطاء نموذج معرفي عن كلٍ منهما - الرؤية التراثية ممثلة في المنهج "المقاصدي"، والأخرى الحداثية والممثلة في المنهج "الهرمنيوتيقي" مع المقارنة بين مضمون، وآليات، ومنطلقات كل منهما، وبحث مدى تناغم وانسجام، كل نموذج والنصوص الدينية من جهة، والتراث الإسلامي من جهة أخرى. ومنه مدى إمكانية وصلاحية كلا من النموذجين في الاشتغال على النصوص الدينية الإسلامية واستنطاقها، وإلى أي مدى يتناسق كلا منهما مع الفكر التوحيدي الإسلامي. وأخيرا عن مدى تماشي كلا منهما والبناء الاجتماعي، الإسلامي، الجماعي، المنشود في النصوص.

تم اختيار نموذج "المقاصد" يأتي كونها نظرية أصيلة في التراث الإسلامي، وكون العديد من الباحثين والمشاريع الفكرية تسعى إلى إعادة تفعيلها وتقديمها كنموذج معرفي كفيل بقراءة النصوص، واستجلائها. مثل ماهو الشأن مع المفكر المغربي "طه عبد الرحمن" من خلال نظريته في القيم وكتاباته كـ: (العمل الديني

وتجديد العقل - تجديد المنهج في تقويم التراث..). أو جماعة "إسلامية المعرفة" مثل" طه جابر العلواني". أو لدى"عبد الجبار الرفاعي" كما يتضح في كتابه: (الاجتهاد المقاصدي من مقاصد الشريعة إلى مقاصد الدين).

أما اختيار "الهرمنيوتيقا" فكونها حاضرة هي الإخرى بشكل كبير وواسع في المشاريع العربية الإسلامية المعاصرة . مثل ماهو الشأن عند "نصر حامد أبو زيد" كمايظهر في كتبه: (النص، السلطة، والحقيقة - إشكالية القراءة وآليات التأويل - مفهوم النص). أو لدى المفكر الإيراني "عبد الكريم سروش" من خلال كتاباته: (التجربة النبوية - الصراطات المستقيمة - القبض والبسط) أو"محمد مجتهد شبستر" في: (هرمينيوتيقا الكتاب والسنة - قراءة إنسانية للدين - الحداثة والمعرفة الدينية..).

إشكالية البحث: التجديد كصفة شاهدة على مرونة الدين الإسلامي، وشموليته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، متوقفة وبالدرجة الأولى على نشاط العقل الإنساني وما ينتجه من آليات تعمل على ذلك. وتعتبر المقاصد والهرمنيوتيقا - على اختلافهما التداولي - من الآليات والمناهج العقلية المناشدة للتجديد في الفكر الإسلامي ولا سيما اليوم، **فأيّهما أنسب لذلك ؟ هل المقاصد، أم الهرمنيوتيقا ؟ هل يجب إعادة تفعيل المقاصد كمنهج إسلامي أصيل لفهم النص الديني اليوم، وهل تستجيب لتطلعات العقل الإسلامي في فهم قضايا الراهن بما يسمح له بالنهوض والتطور، أم يجب إعمال الهرمينوطيقا كمنهج مستفاد من التجربة الغربية، وهل تتناسب مع خصوصية بنية هذا العقل وطبيعة مرجعيته الدينية؟**

منهج البحث: اقتضى الموضوع المعالج في البحث التنويع بين المنهج الوصفي لعرض واقع البيئة الفكرية العربية الإسلامية، والمنهج المقارن لمقارنة منطلقات

وأسس المقاصد بمنطلقات وأسس الهرمنيوتيقا، وكذلك المنهج النقدي لمناقشة مآلات المنهج الهرمنيوتيق بعد إعماله على النصوص.

في البداية ننوه إلى أن عنوان المقال قد يوحي بنوع من التنافر وعدم الاتساق في تناول المفهومين (المقاصد والهرمينيوتيقا) وذلك من جهة أن طبيعة المقاصد تفاعل مع النص واستقراء عملي له قد لا تكون منهجا في حد ذاتها بقدر ماهي نتيجة لمقدمات استقرائية قد أوضحها المنظر الأول للمقاصد "الشاطبي" في مقدماته الثلاثة عشر في الموافقات. وكون الهرمينيوتيقا آلية ومنهج لغوي يهدف إلى فهم النص ضمن سياقاته المتعددة. فالمقال يطرح المقاصد هنا من الجهة الإبستمولوجية أي كمنهج ونسق معرفي يحدد أولويات المشرع بين الضروري منها والحاجي والتحسيني. وهنا قد يلتقي المنهجان؛ الهرمنوطيقي كمنهج في فهم النص ومراميه وفق محددات إنسانية ذاتيه. والمقاصدي كمنهج يهدف إلى فهم النص واستنطاقه واستنباط مراميه وفق محددات شرعية موضوعية، كماهي حاضرة في تساؤلات العقل العربي الإسلامي اليوم كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

2. مفهوم المقاصد و الهرمينوطيقا:

1.2 . مفهوم المقاصد:

المقاصد أوكما يسميها بعض المعاصرين "فلسفة التشريع" تعتبر من أكثر المصطلحات حضورا في الفكر العربي الحديث والمعاصر (إصلاحي، حداثي، أو فقهي أصولي)، فهي بحق تجلٍ عميق من تجليات العقل الإسلامي، وصورة واضحة لتفاعله والنصوص الدينية في إشتغاله على غاياتها، وأبعادها، التشريعية لبناء الإنسان المنشود، ومن ثم مساعدته على الإجابة عن أسئلته الوجودية العميقة، ومعرفة ماهيته، ومركزيته في هذا الوجود بالنظر إلى مراد الله.

في لسان العرب لابن منظور قصد "القصد": استقامة الطريق؛ قصد يقصد قصدا، فهو قاصد. لقوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل) أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة...وطريق قاصد سهل

مستقيم...وفي قوله تعالى: (لو كان عرضا قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك) يقول ابن عرفة: سفرا قاصدا أي غير شاق. والقصد العدل.."[1].

وجاء في المصباح المنير: "...وأما القصد فيجمع على مقاصد، وقصد في الأمر قصدا توسط ولم يجاوز الحدَّ، وهو على قصدٍ أي على رشدٍ، وطريقٌ قَصدٌ أي سهل وقصدت قصده أي نحوه".[2]

ومن الجهة الإصطلاحية نجد لمصطلح المقاصد دلالات اشتقاقية عدّة، نورد منها: حِكم الشريعة، علل الشريعة، أغراض الشريعة، أسرار الشريعة، كما يصطلح عليها بعض المعاصرين بفلسفة الشريعة، أو فلسفة التشريع. ومن التعاريف للمقاصد ما يلي:

يعرفها "طه جابر العلواني": " فقه المقاصد يتأسس على مبدأ اعتماد الكليلت التشريعية، وتحكيمها في فهم النصوص الجزئية وتوجيهها. فهو نوع من رد المتشابهات إلى المحكمات، والفروع إلى الأصول"[3]

يضيف طه جابر العلواني:" كلّيات مطلقة قطعيّة تنحصر مصادرها في المصدر الأوحد في كلّيته وإطلاقه وقطعيته وكونيّته وإنشائه للأحكام، ألا وهو القرآن المجيد. وذلك بقراءة وفهم وتدبّر ينطلق من (الجمع بين القراءتين)، قراءة الوحي وقراءة الكون)".[4]

يذهب "طه عبد الرحمن" إلى إعطاء تعريف ميتودولوجي للمقاصد في أنها "المضمون القيمي" أي البحث عن المضامين القيمية للخطاب الشرعي" ويضيف موضحا الصبغة المعنوية للمقصود الشرعي: "أنها أمر مضموني يستخرج من هذه الصيغة أو هذا الأسلوب، وقد يكون استخراجه قريبا أو بعيدا؛ فإن كان الأول، فإن المضمون يتبادر من اللفظ بأول النظر ونكتفي فيه ببادىء الرأي؛ وإن كان الثاني، فإننا نحتاج إلى مجاوزة الدلالة المباشرة والغوص في باطن النص غوصا

---

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، لمجلد12، 1997، ص113.

[2]. أحمد الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، حرف (القاف)، 1987، ص 192.

[3]. طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، دار الهادي، بيروت-لبنان، ط1، 2001، ص 124.

[4].محمد مهدي شمس الدين..(وآخرون)، مقاصد الشريعة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002، ص 100.

يتفاوت سعة وعمقا، مع التوسل في ذلك بالأدلة الزائدة على اللفظ وهي صنفان: أحدهما: أدلة مقالية مكونة من سياقات الكلام أو من نصوص أخرى؛ والآخر: أدلة مقامية مشتملة على أسباب النزول وملابسات السنة وظروف الممارسة العامة، وعلى ما تواتر من القوانين والقواعد المشرّعة إلى وقت ورود النص". ومن جهة أخرى يتناول "طه عبد الرحمن" المقاصد من جهة غايتها القصوى وهي الأخلاق المتضمنة حسبه في المصلحة المرعية من الشارع: "...يكون علم المقاصد هو الصورة التي اتخذها علم الأخلاق للاندماج في علم الأصول".[5] بينما "محمد عابد الجابري" يعرفها في كتابه (بنية العقل العربي)، أنها: "علم يُخرج أحكام الفقه من المعالجة البيانية إلى التنسيق البرهاني"[6]

المشترك في التعاريف الواردة أنها تشهد للمقاصد كتجلٍ منهي محكم للعقل المسلم في تعامله مع النصوص، ومحاولة فهمه لها، ضمن معطيات ومنطلقات نصية سياقية يحددها النص الذي لا يتناقض في طبيعته مع الواقع. فهي ترمي إلى ضرورة الوصول بالإنسان، إلى الإنسانية، دينا ودنيا من خلال توجيه سلوكه نحو المصلحة وتجنيبه للمفسدة.

2.2 مفهوم الهرمينوطيقا:

الهرمينيوتيقا أو التأويلية - كما يستحضرها الفكر العربي الإسلامي - نظرية أنتجتها الدراسات اللغويات، والأدبيات القائمة حول النص ومفهوم النص. عرفت حضورا مميزا من طرف فلاسفة التنويرفي أوروبا، بعد أن رأو فيها الخلاص من الوصاية على العقل الأوربي باسم الدين.

و"التأويل" كمصلح لم يكن غريبا عن التداولية العربية الإسلامية. حيث كان واضح الحضور في العقل العربي سواء الفقهي أو الأصولي وبشكل خاص لدى المفسرين حيث يطرح المفهوم أحيانا مرادفا للتفسير، وأحيانا أخرى يطرح كمعنى

---

[5]. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1993، ص 99.

[6].محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط9، 2009، ص569.

أعمق عنه. بعدها تم الاشتغال على التأويل بشكل واسع من طرف المتكلمين ولاسيما المعتزلة والأشاعرة، في محاولة لتعقل آيات الصفات ومتعلق الذات الإلهية، تنزيها لها عن التشبيه والتجسيم. ومع ذلك يبقى مفهوم التأويل في التداولية الإسلامية العربية مختلفا بخصائصه وقواعده عنه في التداولية الغربية.

مفهوم "الهرمينيوتيقا" لم يكن واحدا بين الفلاسفة الغربين، لتباين المنطلقات المنهجية، والصورية للمصطلح، ما فرض تطورات على مفهوم المصطلح بداية من "شلاير ماخ" و"دلتاي" و"هسرل" و"هيدغر" وصولا إلى "غادامير" و"هابرمارس" و"بول ريكور".

كلمة "هرمنيوتيقا" تشتق من **Hermeneia** ويعني تفسير؛ في إشارة إلى الإله "هرمس" **Hermes** رسول الآلهة والوسيط بينها وبين البشر، كما تشير الإلياذة إلى ذلك؛ أن هرمس كان ينقل الرسائل من زيوس(كبير الآلهة) إلى كل من عداه كما ينزل بها إلى جنس البشر.[7]

وفي المعجم الفلسفي "لأندري لالاند": " تفسير نصوص فلسفية أو دينية، وبنحو خاص الكتاب المقدس. وتقال هذه الكلمة بشكل خاص على ماهو رمزي"[8]

يعرض " د.عادل مصطفى" تعاريف للهرمينوتيقا بالنظر إلى تطورالمصطلح كالآتي:

- ✓ نظرية تفسير الكتاب المقدس.
- ✓ ميثودولوجيا فقه اللغة العام.
- ✓ علم كل فهم لغوي.
- ✓ الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية.
- ✓ فينومينولوجيا الوجود والفهم الوجودي أنساق التأويل.[9]

بشكل عام "الهرمينوطيقا" تعني نظرية القواعد التي تحكم التأويل. فهي تدور حول آليات الوصول إلى المعنى من طرف القارئ ،أو المتلقي. المعنى الكامن

---

[7]. عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمينيوتيقا، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص25.

[8]. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، منشورات عويدات بيروت-المجلد الأول، ط2، 2001، ص555.

[9]. عادل مصطفى، المرجع السابق، ص 66.

وراء النص ومن منظورسياقاته المتعددة. كما تركز الهرمنيوتيقا على ضرورة مراعاة الأفقين؛ أفق القارئ، وأفق النص كما يؤكد ذلك "غادامير" في الحقيقة والمنهج.

إن مفهوم الهرمينيوتيقا في التداولية الغربية الحداثية ومابعدها، تعكس الصراع الدائر بين سلطة النص، وسلطة صاحب النص؛ بين النص كشيئ مفارق لصحابه، و صاحب النص الذي يجب على ذات القارئ تجاوز سلطته.

3 . آليات المقاصد والهرمينوتيقا:

1.3 آليات المقاصد:

توظف المقاصد آليات مختلفة لتقصي المعنى المراد من النص الديني وتحشد مختلف القرائن اللغوية لذلك. هذا الأمر لازم المقاصد منذ طلائعها الأولى مع البقلاني (ت -403ه) في (التقريب والإرشاد في ترتيب طرق الاجتهاد) وإمام الحرمين الجويني (ت – 478ه) في (البرهان) وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي(450 – 505ه) في (المنخول والمستصفى). ومَن بعدَهما، وصولاً إلى المنظر الأساسي للمقاصد، وململم شذراتها، "أبو اسحاق الشاطبي"(733- 790ه) وذلك من خلال كتابه الموافقات حيث يوضح في خطبة استفتاح كتابه الموافقات: "..لم أزل أقيد من أوابده، وأضم من شوارده...معتمدا على الاستقراءات الكلية، غير مقتصر على الأفراد الجزئية، ومبينا أصولها النقلية، بأطراف من القضايا العقلية.. ".[10]

في قراءة "للجابري" للأداة المقاصدية للشاطبي يرى أنها نموذج عن النسق المعرفي المتكامل: "..وهي حسب الشاطبي ثلاث:

- العموم والاطراد: واحكام الشريعة تتصف بهما لأنها تعم المكلفين جميعا ولا تخص زمانا دون زمان ولا مكانا دون مكان.

[10].ابو إسحاق الشاطبي، الموافقات، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 2008، ص 14.

- الثبوت وعدم التغير: وأحكام الشريعة هي كذلك، فالواجب واجب والحرام حرام، وما وضع سببا يبقى سببا وما وضع شرطا يبقى شرطا.
- القانونية: أي كون العلم حاكما لامحكوما عليه؛ فالشريعة أوامر ونواه لاشيئ يعلو عليها. وهكذا فالشريعة تتوافر فيها شروط العلم البرهاني.."[11]

يصف "طه عبد الرحمن" مقاصد الشاطبي؛ بالتكامل والتداخل المعرفي ما يؤهلها أن تكون نظرية في المعرفة: "علم الأصول الذي يعد بحق علم أنشأته الحضارة الإسلامية إنشاءً... فمن الأبواب النظرية التي تدخل فيه باب علم المناهج أو"الميتودولوجيا" الذي ينظر في الأدلة الشرعية، تعريفا وترتيبا، كما يدرس قواعد الاستنباط وقوانين الأحكام، وباب الاستدلال الحجاجي، وهو يعنى بقوانين الجدل والمناظرة، وباب فقه العلم "الابستمولوجيا" الباحث في فلسفة التشريع.."[12]

كما يثير الأستاذ "عبد الحميد العلمي" حول منهج الشاطبي مجموعة من المتقابلات وذلك في معرض حديثه عن التلازمية بين الدلالة المقاصدية والدلالة اللغوية. فالشاطبي كما تؤكد الدراسات حول نظريته، يجعل من اللغة العربية والإلمام بها شرطا ضروريا للخوض في هذا الفن، ما يجعل من نظريته (المقاصد) ذات وجه في علم الدلالة والسيميولوجيا، هذه الأوجه التقابلية كالتالي:

- "في الدلالة عموما هناك تقابل بين ماهو أصلي وماهو تبعي.
- في الأدلة هناك تقابل بين ماهو برهاني عقلي وماهو نقلي، وبين ماهو كلي وما هو جزئي، وبين ماهو قطعي وماهو ظني.
- في إجراء الأدلة هناك تقابل بين الاقتضاء الأصلي والاقتضاء التبعي أو الاقتضاء العقلي والاقتضاء الخارجي، وبين الاقتضاء الحالي والاقتضاء المآلي.
- في الدلالة اللفظية هناك تقابل بين اللفظ والمعنى.

---

[11]. محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص 210.

[12]. طه عبد الرحمان، المرجع السابق، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 93.

- في الألفاظ هناك تقابل بين المحكم والمتشابه والنص والمبين والمجمل والمطلق والمقيد.
- في المعنى هناك تقابل بين المعنى الإفرادي والمعنى التركيبي.
- في الدلالة المقاصدية، هناك تقابل بين مقاصد الشارع ومقاصد المكلف.
- في مقاصد الشارع هناك تقابل بين المقاصد الأصلية والمقاصد التبعية.
- في مقاصد المكلف:هناك تقابل بين قصده وعمله، وبين قصده الحالي الظاهر، وقصده المآلي الباطن.
- في السياق هناك تقابل بين ماهو حكمي مقاصدي وبين ماهو لغوي.
- في الاجتهاد هناك تقابل بين ماينقطع منه ومالا ينقطع، وبين الاجتهاد البياني والاجتهاد المصلحي"[13]

لم تتوقف المقاصد عند القواعد الشاطبية بل توسعت مع توسع آفاق الحياة الإنسانية، ومستجداتها، وبشيئ من المرونة كما هو واضح مع "الطاهر بن عاشور" في (التحرير والتنوير) والإضافة مقصد الحرية للكليات الخمس التي أقرها الشاطبي.

يعتبر"طه عبد الرحمن" أبرزالمفكرين المعاصرين المشتغلين على إعادة صياغة النظرية المقاصدية كنظرية في الأخلاق، معيدا ترتيب المقاصد ترتيبا يتماشى مع البعد الوجودي للإنسان، في نوع من الاعترض على المفهوم التاريخي السائد للمقاصد وترتيبها، ما أسماه بنظرية القيم،" إن نظرية القيم أو إن شئت قلت نظرية المصالح التي هي الأصل في علم المقاصد تحتاج إلى إدخال وجوه من التصحيح عليها".[14] ونفس الأمر مع "عبد الجبار الرفاعي" الذي حاول الارتقاء

---

[13]. عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية -المملكة المغربية،2001، ص ص 107-108.

[14]. طه عبد الرحمن، مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة، مجلة المسلم المعاصر، العدد103 عن جمعية المسلم المعاصر، 2002، ص49.

بالمقاصد من سياجات الفقه إلى رحابة الإنسانية كما يوضحه عنوان كتابه (من مقاصد الشريعة إلى مقاصد الدين) ومع "طه جابر العلواني" في محاولة لتفعيل المقاصد والراهن. بالمزاوجة بين القرائتين؛ قراءة الوحي، وقراءة الكون، في صبغة وجودية إنسانية تساير الواقع وما يستجد في ضوء العولمة وحقوق الإنسان المتنامية وبشكل مضطرد.

وبالعودة إلى الموضوع يمكن القول أن المقاصد بصفة عامة تراعي في تعاملها مع النص مختلف السياقات والوجوه، التي قد ينزع إليها هذا النص؛ على أنها وجوه لاتخضع للقارئ أو الذات المتعاملة مع النص بصفة خاصة، أو نفعية بالمعنى الفج (الشخصي)، وإنما بوجه تقتضيه المصلحة التي يمليها النص باعتبار قدسيته وتعاليه عن الفرد، تعالٍ يستوعب الأصلح للفرد وبشكل كلي وفي نفس الوقت يعمل على درء المفاسد. وبهذا يفرض جملة من الأدوات يجب مراعاتها؛ من المعرفة بأسباب التنزيل، ووجه التقييد والإطلاق في النص، والخاص والعام، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، ِافة إلى الأداة اللغوية، ثم رد كل ذلك إلى مقدرة الفرد المكلف ومراعاتها في مدى مقدرته واستطاعته.

2.3 آليات الهرمينوطيقا:

تستند الهرمينوتيقا بشكل عام إلى تفعيل السياقات المحايثة للمعنى في محاولة لإماطة اللثام عنه، وإزالة ما علق به من تراكمات وتراكبات إثر تنقله من عصر إلى آخر، أو من شخص إلى آخر. والهرمينيوتيقا شأنها شأن أي منهج عرفت تطورا من حيث استعمالاتها، ودلالاتها - كما مر معنا- على حسب المشتغل عليها، وطبيعة نسقه، ورؤيته الفلسفية، وبذلك لم تكن بآلية واحدة إنما متعددة، ومن الأليات الهرمنيوتيقية بحسب الرؤى مايلي:

بداية مع شلاير ماخر(1768 – 1834م) إذ ينظر إلى الهرمينيوتيقا كونها أداة لغوية وعلم للفهم اللغوي تستثمر في ما أسماه (فن الفهم)، على اختلافه؛ سواء فهم النص الديني أو الأدبي إذ يتوجب استخدام النحو لكشف معنى العبارة فالفكرة العامة تتفاعل مع البنية اللغوية لتكون المعنى، أيا ماكان صنف النص.

وهناك من ينظر لها كمنهج فيلولجي يتطلب اعمال العقل في النصوص ومقارنتها للوصول للمعنى المرجو وهي نزعة ظهرت مع النزعة العقلية كما هو الشأن عند "سبينوزا" في "رسالة في اللاهوت والسياسة"حيث يوضح ضرورة إعمال العقل كطريق واحيد لفهم الكتاب المقدس.

في حين "فيلهم دلتاي"(1833 – 1911م) يرى في الهرمينيوتيقا المنهج الأنسب لكل العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يميز بين التفسير كمنهج لمعرفة الطبيعة وظواهرها، والفهم كمنهج لمعرفة السلوكات الإنسانية مع نقد تاريخي لها.

لينتقل "هيدغر"(1889 – 1976) بالهرمينوطيقا مستعينا بظاهريات "هوسرل" إلى معنى آخر هو أن الفهم والتأويل أسلوبان للوجود الإنساني محاولا إعطاء المعنى بعدا وجوديا بما أسماه "هرمنيوتيقا الدازاين".

ليواصل "غادامر" الطريق بعدها ناحياً بالمصطلح منحى آخر هو المزاوجة بين الوجود واللغة الالتقاء بالوجود من خلال اللغة.[15]

من خلال هذه النظرة السريعة على تطور نظرة الفلاسفة للهرمنيوتيقا يمكن استخلاص قواعد أداتية عامة مشتركة بين هؤلاء الفلاسفة، كما يلي:

- ضرورة التمييز بين النص وصاحب النص.
- لا يعدو أي نص أن يكون نصا تاريخيا.
- التمييز بين حرفية النص وروح النص.
- التمييز بين أفق النص وأفق القارئ.
- مركزية النص (ما يعني موت المؤلف).
- تجاوز صاحب النص إلى النص والقارئ.
- لا نهائية المعنى (النص المفتوح)
- تعدد القراءات لنسبية الحقيقة الكامنة في النص
- رمزية النص ما يعني انفتاحه على كل الإشارات اللغوية والدلالات المحتملة

[15]. عادل مصطفى، المرجع السابق، ص77.

- التناص ويعني علاقة النص بالنصوص الأخرى ومحاكاتها.

أما عن حضورالمنهج في التداولية الإسلامية - مايهمنا في المقال أكثر- فحضوراً محملاً بهَمِ التجديد، وإلحاح على ايجاد حركة تنويرية مشابهة لما حدث في الغرب. ونشير هنا على وجه الخصوص والتمثيل لا الحصر إلى كل من "عبد الكريم سروش" "محمد مجتهد سبشتري" "نصر حامد أبوزيد". وذلك لتشبثهم الكبير بالمنهج الهرمنيوتيقي.

سروش ومن خلال كتاباته وأبرزها (بسط التجربة النبوية) يستعرض مظاهر البيئة العربية في السرد القراني، ليدلل بها على ضرورة التمييز بين النص وروح النص. وإلا كان القرآن خاص بالبيئة المنزل فيها دون سواها. يقول مترجم الكتاب للعربية "أحمد القبانجي" في تقديمه للكتاب: "إن هذا الكتاب يبحث في المنهج البشري والتريخي والأرضي للوحي والدين بدون التعرض للرؤية الميتافيزيقية لمقولة الوحي، ويسعى لتوضيح ظاهرة الوحي والغيب عندما ترتدي ثوب الطبيعة وتنزل من مركب ما وراء التاريخ إلى الأجواء التاريخية وما تتعرض له من متغيّرات وتداعيات نتيجة الغبار المتراكم على وجهها الأصيل والأعراض التي تحاصر ذاتها والقيود التي تكبل إطلالتها".[16]

أما "محمد مجتهد سبشتري" يتبنى الهرمنيوتيقا في محاولة لتخليص العقل الإسلامي مما يراه ملازما له في التعامل مع النصوص، وهو القبليات التي لم يستطع تجاوزها، ولم تزل في تقديره تعيق عملية الفهم الصحيح للنص وفق معطيات الراهن وتطلعات المستقبل في مقدمة كتابه (هرمنيوتيقا الكتاب والسنة) يقول: "هذا الكتاب يهدف إلى بيان هه الحقيقة، وهي أن المفسرين للوحي الإسلامي ينطلقون في تفسيرهم للقران والسنة على أسس القبليات والتوقعات والمسبقات الذهنية لهم". كما يهدف إلى تفجير مكامن النص باعمال آليات متعددة، في دعوة إلى استثمار فلسفة العلم وما انتجته، من مناهج: (..لا أحد يلتفت إلى المباني الفلسفية، والكلامية، والانتروبولوجية والسوسيولوجية،

[16]. عبد الكريم سوروش، بسط التجربة النبوية، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد، 2006، ص3.

والسيكولوجية....ولايمكن ان يتخلص العالم الإسلامي من المآزق العملية والتعقيدات النظرية التي خلقتها الحداثة إلا من خلال إعادة النظر في هذه القبليات وإجراء عملية التنقيح والغربلة في هذه المرتكزات".[17]

ويذهب "نصر حامد أبو زيد" في تبرير توجهه الهرمنيوتيقي إلى أن التأويل مصطلح له حضوره العميق في الفكر الإسلامي، ومن ثم لابد من العودة إليه وتفعيلة. ويركز هنا على وجه الخصوص على التراث الإعتزالي الذي يراه رائد التأويل في الفكر العربي الإسلامي، وكذلك في الأدبيات الصوفية كما يتضح من كتابه (هكذا تكلم ابن عربي).

يسعى "نصر حامد أبو زيد" كما يوضح في (مفهوم النص) إلى الارتقاء بالنص الديني من القراءات التاريخية القاصرة إلى مفهوم ثقافي أشمل وأوسع، يحمل هموم الأمة الحاضرة ويستشرف مستقبلها في إطار مقاصد الشريعة وأهداف الوحي: "..الدين مفهوم ثقافي عام يتجاوز حدود العقائد والشعائر. وجلد شارب الخمر"[18]

ينتقد "نصر حامد أبو زيد" العقل السلفي في تعاطيه للنص وتعامله معه، خصوصا حين يفصل بين النص والواقع وعدم مراعاة نسبية الاسقاط (اسقاط النص على الواقع) ما يجعله يتجاهل المقاصد والأهداف من النص: "وإذا كان هذا العقل السلفي..يتنكر- دون أن يدري – لمقاصد الوحي وأهداف الشريعة حين يفصل بين النص والواقع، وذلك بالمطالبة بتطبيق نص مطلق على واقع مطلق، فإ بلورة مفهوم للنص قد يزيل بعض جوانب التعتيم، وقد يكشف القناع عن حقيقة الوجه الرجعي لهذا الفكر وامتداداته في التراث...".[19]

يقترح "نصر حامد أبو زيد" إعادة النظر في مفهومنا للتراث وتعاملنا معه، وتخليص مصطلح التراث من الإيديولوجيا، وضرورة فهمه في ضوء المنهج العلمي

---

[17]. محمد مجتهد سبشتري، هرمنيوتيقا الكتاب والسنة، ترجمة أحمد القبانجي، الانتشار العربي، ط1، بيروت، ص7.

[18]. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2014، ص 14.

[19]. نصر حامد أبو زيد، المصدر نفسه، ص 15.

كشرط أساسي للتقدم والتجديد، فالتراث حسبه لا يختزل في الدين فحسب: "لماذا حين يذكر التراث يتبادر إلى الذهن الدين أو الفكر الديني بصفة عامة، والإسلامي بصفة خاصة؟ هذا سؤال يمثل طرفا من المشكلة التي نحن بصدد مناقشتها، أما السؤال الذي يمثل الطرف الثاني منها فهولما يلح علينا هاجس التراث هذا الإلحاح المؤرق، والي يكاد يجعلنا أمة فريدة في تعلقها بحبال الماضي كلما حزّ بها أمر من الأمور أو مرت بأزمة من الأزمات ومأأكثرها؟ فإذا كان التقدم يشير إلى المستقبل ويدل على الحركة، فإن التراث يشير إلى الماضي ويدل على السكون والخمود.."[20].

هذه النماذج الثلاث لها نظرة واحدة تقريبا، في إعمالها وتبنيها للهرمنيوتيقا في التراث الإسلامي؛ (نقد القراءة التراثية وملابساتها) (الدعوة إلى تأسيس قراءة معاصرة بعيدا عن كل معطى تاريخي استنادا إلى المناهج العلمية وما أنتجته الألسنية في فهم النصوص) هذا التبني الفج للمنهج الهرمنيوتيقي أفضى إلى نتائج تعسفية، مع منطلقات مضطربة في تحديد معنى التراث.

[20]. نصر حامد أبو زيد، "النص، السلطة ، الحقيقة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1995، ص 13.

4. خلاصة:

مايمكن استخلاصه من بحث سؤال التجديد في ضوء النموذج المقاصدي والنموذج الهرمنيوتيقي هو أن الآليتين، مختلفتين من حيث البيئة التي أوجدتهما؛ فالمقاصد نتاج بيئة إسلامية، لها ظروفها وطبيعتها، وبنيتها العقلية الخاصة. في حين الهرمنيوتيقا نتاج بيئة غربية، أيضا لها ظروفها وطبيعتها وبنيتها العقلية الخاصة. واستنادا إلى ذلك يلاحظ أن المنهجين لهما قيمتهما المعرفية في حمل أعباء السؤال الذي يبحثانه، في سياقهما؛ المقاصد وآلياتها في التداولية الإسلامية، والهرمنيوتيقا وآلياتها في التداولية الغربية. وتبرير هذا راجع إلى حمولة كل منهما التي تعكسها مطالب ومرامي العقل المنتج لهما.

ومن هذا الوجه نجد أن المقاصد حققت أهدافها واستطاعة وعي واستنطاق النصوص التي اشتغلت عليها، ونفس الأمر بالنسبة للهرمنيوتيقا وإلى حد ما - وأقول إلى حد ما كون نصوص الكتاب المقدس ما زجها العمل البشري، وليس كشأن القرآن - استطاعت أن تحقق مراميها بغربلة التراث الديني وإعادة تفعيله لكن بصورة توحي بعزله عن الشأن العام وتسليمه للتجربة الشعورية الفردية. وبهذا سيؤدي الأخذ بالهرمنيوتيقا - خصوصا في صورتها المُمَكنة للقارئ - إلى نتيجة غير منسجمة مع خصوصية العقل المسلم الذي تحكمه مبادئ عقدية تتعالى في جزء منها على أفق العقل الإنساني إذ تقوم على التسليم القلبي الذي يبدد شكوكه الإرتياح والانشراح المتجلي على القلب إزاء هذا التسليم، فالقرآن يصور هذا الأمر في أكثر من آية. في حين الكتاب المقدس له من الإضافات والتحريفات ما يجعله بحاجة فعلية إلى الغربلة وعرضه على مشرحة العقل والنقد كما هو مفهوم الهرمنيوطيقا. غير أن النص القرآني في تاريخية تدوينه واستمراريته له من الخصائص ماينفي عنه التحريف أو الفعل البشري، فهو مختلف تماما عن الكتب المقدس من هذه الناحية. وبذلك كانت المقاربات المتوالية في الأخذ بالمنهج الهرمنيوتيقي في التداولية الإسلامية في الغالب جناية على النص، وتحميل له فوق ما يتحمل.

أيضا أن آليات كل من المنهجين مشدود بخلفية وتطلعات البيئة التي أنتجته فالمقاصد تناشد أن يكون النص - في صورته المطلقة كنص إلهي المصدر - أكثر مرونة في استيعاب المستجدات ومن ثم التطلع للمستقبل وضمان حيوية الدين، وذلك بالمحافظة على المقصد الأسنى، وهو بناء الإنسان المرتبط بروح الجماعة، (النزعة الإنسانية) التي تذوب فيها الفردانية، أو بالأحرى تهذب هذا الفردانية. في حين الهرمنيوتيقا ومن خلال آلياتها ، تناشد أن يكون النص - كمعطى تاريخي - ملك للفرد يتصرف فيه بشكل مباشر دون أي محايثة أو قبليات مهما كانت، ما يجعل النص متعدد القراءات بتعدد العقول أو الذوات المتعاملة معه. وكون الذات الشاعرة الواحد تتفاعل فيها جملة من الميول والنزعات الفردية فإن النص يصبح سائلا بامتياز عندها يفقد قيمته ويفنى تماما في الذات. ولعل مآل الهرمنيوتيقا اليوم شاهد على عدم فاعليتها حتى داخل المنظومة التي أنتجتها؛ لما صارت إليه من عبثية وما أورثته من جفاف روحي للإنسان الغربي في شعوره الديني ، وتخبط وتيهان وجودي، جراء فصل القيم؛ ليست الدينية فحسب بل حتى الإنسانية عن المادة، وتحويله إلى كائن استهلاكي تحركه الغريزة.

إن مايمكن أن يخلص إليه المقال أن سؤال التجديد وممارسته على الفكر العربي الإسلامي ظل دائما يتأرج بين نزعتين؛ نزعة تراثية تحتمي بالتراث وتمظهراته المختلفة لتنبش فيه علها تجد ما تناشده، ونزعة حداثية تستنجد الآخر وتجاربه في النهوض. ولعل المقال يضع أمام القارئ النموذجين؛ المقاصد كصورة لآلية تراثية، والهرمنيوتيقا كصورة لآلية مستفادة من تجربة الآخر، ليبقى الأمر في الحكم على الأصلح بين الصورتين لممارسة سؤال التجديد في الفكر العربي الإسلامي للقارئ.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، تحقيق محمد الإسكندراني وعدنان درويش، (بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، 2008).
2. ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، المجلد12، 1997، ط1).
3. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، (منشورات عويدات بيروت، المجلد1، 2001، ط2).
4. أحمد الفيومي، المصباح المنير، (مكتبة لبنان، بيروت، 1987).
5. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993، ط2).
6. محمد مجتهد سبشتري، هرمنيوتيقا الكتاب والسنة، ترجمة أحمد القبانجي، (مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2013، ط1).
7. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، (المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء - المغرب، 2014، ط1).
8. نصر حامد أبو زيد، "النص، السلطة ، الحقيقة"، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 1995، ط1).
9. عبد الكريم سوروش، بسط التجربة النبوية، ترجمة أحمد القبانجي(دار الفكر الجديد، العراق، 2006)
10. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، 2009، ط 9).
11. عبد الوهاب لمسيري وفتحي التريكي، الحداثة ومابعد الحداثة، (دار الوعي، الرويبة – الجزائر، 2012، ط2).

12 . عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، (طباعة وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، 2001).

13 . محمد مهدي شمس الدين (وآخرون)، مقاصد الشريعة، (دار الفكر، دمشق، 2002، ط1).

14 . طه جابر العلواني، مقاصد الشريعة، (دار الهادي، بيروت – لبنان، 2001، ط1).

15 . عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمينيوتيقا، (رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،2008، ط1).

16.طه عبد الرحمن، مشروع تجديد علمي لمبحث مقاصد الشريعة، (مجلة المسلم المعاصر العدد103 عن جمعية المسلم المعاصر).